تحقيق التوحيد

فضله ووسائل تحقيقه وعوائقه

✍ إعداد الدكتور
عبد الرحمن سعيّد هليّل العمر الشمري
الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية
جامعة حائل – السعودية
Abdulrhm3n@hotmail.com

تحقيق التوحيد – فضله ووسائل تحقيقه وعوائقه–

عبد الرحمن سعيّد هليّل العمر الشمري

قسم الثقافة الإسلامية – جامعة حائل — السعودية

البريد الالكتروني: Abdulrhm3n@hotmail.com

الملخص:

منهج البحث: سرت في بحثي على المنهج الوصفي التحليلي وألجأ أحيتناً إلى المنهج الاستنباطي، أقسام البحث: اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث ثم الخاتمة وذيلت البحث بالفهارس العلمية، المقدمة وفيها أهمية الموضوع، وأهداف البحث وخطته، ومنهج البحث. المبحث الأول: عن فضائل تحقيق التوحيد الدنيوية والأخروية بأدلتها. المبحث الثاني: وسائل تحقيق التوحيد ونيل تلك الفضائل وبينت فيه درجات تحقيق التوحيد ووسائل تحقيقها. المبحث الثالث: ذكرت فيه عوائق تحقيق التوحيد بالكلية وعوائق كمال تحقيق التوحيد ثم الخاتمة وذكرت فيها أبرز النتائج ومنها: –كثرة فضائل التوحيد الدنيوية والأخروية دالة على أهميته. – وجوب الحذر من عوائق التوحيد وكماله سواء اللفظية أو العملية.

الكلمات المفتاحية: تحقيق التوحيد – عوائق تحقيق التوحيد – وسائل تحقيق التوحيد– المنهج الاستنباطي– الدنيوية — الأخروية.

Achieving monotheism – its virtue, means of achieving it, and its obstacles –

Abdul Rahman Saeed Helayl Al-Omar Al-Shammari
Department of Islamic Culture - University of Hail - Saudi Arabia

e-mail: Abdulrhm3n@hotmail.com

abstract:

Research Title: Achieving Monotheism - Its Bounty, the means to achieve it, and the obstacles of achieving it. **Research methodology**: I have followed in my research the descriptive and analytical approach and used sometimes to the deductive approach **Research Sections**: The research included an introduction and three topics, then the conclusion and the research was appended with scientific indexes The introduction includes the importance of the topic, the research objectives and plan, and the research methodology. **The first topic**: about the worldly and hereafter merits of achieving monotheism with its evidence. **The second topic**: about the means of achieving monotheism and gaining these virtues and I have explained the grades of achieving monotheism and the means to achieve them. **The third topic**: It mentioned the obstacles to achieving monotheism in total and the obstacles to achieving complete monotheism Then the conclusion in which I mentioned the most prominent results, including:- The abundance of worldly and hereafter virtues of monotheism with the indication of its importance.- The need

for caution from the obstacles to monotheism and its completeness, whether the verbal or practical.

KayWords: Achieving monotheism - the obstacles to achieving monotheism - the means of achieving monotheism - the deductive-worldly-eschatological approach.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ النبي الأمي الأمين، بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وتركهم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فعليه من الله أفضل صلاة وأتم سلام دائمين إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّ علم التوحيد من أجلِّ علوم الدين وأشرفها؛ بل وأساسها، فعليه مدار صحة العمل وقبوله؛ لأنَّه يتكلم عن إخلاص العبودية لله وحده لا شريك له، ويتحدث عن صفات الله تبارك وتعالى، وهو حق الله على العباد، والغاية التي من أجلها خُلق الخلق، يقول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] أي: يوحدوني بالعبادة[2]، وهو أول ما دعت إليه الرسل؛ بل لم يُرسلوا إلّا من أجله، فهو مفتاح دعوتهم جميعهم، يقول الله

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) انظر: الفقه الأكبر لأبي حنيفة ص (١٦٥)، تفسير القرطبي (١٧/٥٥).

تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[1]، فهذا نوح أول الرسل عليه السلام يقول لقومه: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[2]، ومكث عليه السلام يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[3]، وهود عليه السلام دعاء قومه إلى التوحيد يقول الله تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[4]، وصالح عليه السلام دعا قومه إلى التوحيد يقول الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ ﴾[5]، فالمرسلون من أولهم وهو نوح إلى آخرهم وهو محمد عليهم الصلاة والسلام لم

---

(١) سورة النحل: ٣٦.

(٢) سورة الأعراف ٥٩.

(٣) سورة العنكبوت: ١٤.

(٤) سورة الأعراف: ٦٥.

(٥) سورة الأعراف: ٧٣.

يستهلوا دعوتهم للناس إلا بالدعوة إلى التوحيد، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن موصيًا وموجهًا له: «**إنك تأتي قومًا أهلَ كتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله وحده، فإذا عرفوا الله وحده فأخبرهم أنَّ الله قد افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة**»[1]، وحديث معاذ رضي الله عنه قال: كنت رديفًا للنبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا**»[2]، فجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام لم تكن دعوتهم إلا إلى توحيد الله سبحانه وتعالى[3].

---

(١) رواه البخاري برقم (١٤٥٨) كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (١١٩/٢)، ومسلم برقم (١٩) كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (٥٠/١) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري برقم (٢٨٥٦) كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار (٢٩/٤)، ومسلم برقم (٣٠) كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة (٥٨/١).

(٣) انظر: إكرام الموحدين بتحقيق وصية رب العالمين ص (٣٥).

ولما كان الأمر كذلك رأيت أن أكتب بحثًا أبيّن من خلاله فضل تحقيق عبادة التوحيد، وماذا أعدَّ الله تعالى من جزاء للموحدين في الدنيا والآخرة، وأسأل الله الإخلاص في القول والعمل وأن يتقبل مني وأن يكتب لي القبول في الدنيا والآخرة.

أسباب اختيار الموضوع

فبعد أن علمنا –مما سبق– أنَّ التوحيد حق الله على العبيد، وأن الرسل لم ترسل والكتب لم تُنّزل عليهم إلا من أجل تحقيق التوحيد فالواجب علينا أن نعرف ونُعّرف الناس بفضله في الدنيا والآخرة، لذا رأيت أن أكتب هذا البحث بيانًا لذلك وقد أسميته: «**تحقيق التوحيد فضله ووسائل تحقيقه وعوائقه**»، وقد دفعتني عدة أسباب للكتابة فيه ومن ذلك:

أولاً: أن موضوع علم التوحيد من أهم وأعظم فنون العلم والكتابة فيه تعود بالنفع الكبير على الكاتب والقارئ.

ثانيًا: رغبة الباحث في الإسهام في بيان هذا الأصل العظيم والتأكيد عليه وبيان فضله وآثار تحقيقه الدنيوية والأخروية.

ثالثاً: تحذير وتنبيه المسلمين مما يعوق عن تحقيقه وينافي أصله ، ومما يعوق من كماله ويقدح فيه.

رابعًا: أن حاجتنا إلى فهم التوحيد فوق كل حاجة، وضرورتنا إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا سعادة للقلوب، ولا نعيم، ولا سرور للمرء إلا بأن تعبد ربها وفاطرها سبحانه على الوجه الشرعي الصحيح المبين في الكتاب والسنة.

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذا البحث في النقاط الآتية:

أولاً: فضيلة هذا الأصل العظيم الذي لم يخلق الله الخلق إلا لأجله، ولم ترسل الرسل وتنزل الكتب إلا لبيانه.

ثانيًا: أنَّ التوحيد هو أعظم الواجبات وآكدها؛ لذا فهو أول ما يطالب به الناس، كما جاء في حديث معاذ رضي الله عنه: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله...**»[1].

ثالثاً: أن فلاح العبد في الدنيا ونجاته في الآخرة متعلق بتحقيق التوحيد والبعد عما يناقضه.

(١) سبق تخريجه ص (٦) من البحث.

رابعًا: أنَّ الأنبياء من أولهم إلى آخرهم كانوا دعاة للتوحيد وبيان فضائله والتحذير من ضده.

خامسًا: أنَّ عِظَمَ العلم يرجع إلى عِظَمِ المعلوم، وعلم التوحيد متعلق بأعظم معلوم وهو الله سبحانه وتعالى؛ لذا كان هذا البحث من الأهمية بمكان.

أهداف البحث:

يسعى الباحث من خلال هذا البحث للوصول للأهداف الآتية:

أولاً: توضيح فضائل التوحيد وما يترتب على تحقيقه من الآثار الحميدة لمن حققه على الوجه الصحيح.

ثانياً: بيان وسائل تحقيق التوحيد والتي من شأنها أن تصل بالعبد إلى عبادة الله تعالى على الوجه الذي يرضاه.

ثالثا: بيان شروط تحقيق التوحيد ودرجات تحقيقه.

رابعًا: معرفة العوائق التي تكون سببًا في عدم تحقيق التوحيد.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وذلك على النحو الآتي:

المقدمة؛ وذكرت فيها أسباب اختيار الموضوع، وبيان أهمية الموضوع وأهدافه، وخطة البحث، ومنهج البحث.

المبحث الأولى: فضائل تحقيق التوحيد.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فضائل التوحيد الدنيوية

المطلب الثاني: فضائل التوحيد الأخروية

المبحث الثاني: وسائل تحقيق التوحيد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: شروط تحقيق التوحيد ودرجات التحقيق

المطلب الثاني: أهم وسائل تحقيق التوحيد

المبحث الثالث: عوائق تحقيق التوحيد

ثم الخاتمة ذكرت فيها بعض أهم النتائج وفهرس المراجع والموضوعات

منهج البحث:

سرت في هذا البحث على المنهج الآتي:

١- اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الوصفي التحليلي وقد ألجأ أحيانا إلى المنهج الاستنباطي.

٢- دعمت المسائل العلمية المنقولة بالأدلة من الكتاب والسنة.

٣- عزوت الآيات القرآنية إلى موضعها في القرآن الكريم بذكر السورة ورقم الآي مع كتابتها بالرسم العثماني.

٤- خرجت الأحاديث الواردة في البحث.

٥- وثقت المسائل العلمية والأقوال المنقولة ونسبتها إلى قائليها في الحاشية.

٦- ذيلت البحث بالفهارس.

المبحث الأول

فضائل تحقيق التوحيد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فضائل التوحيد الدنيوية

المطلب الثاني: فضائل التوحيد الأخروية

إنَّ من المعلوم والمتقرر عند علماء أهل السنة من السلف الصالح ومن جاء بعدهم من أهل العلم أنَّ توحيد العبادة-توحيد الألوهية- له فضائل جليلة القدر، وعظيمة الفائدة في الدنيا والآخرة.

وسوف أذكر بإذن الله عدة فضائل لهذه العبادة الجليلة، والذي أسأل الله أن يوفقنا لتحقيقه على الوجه الذي يرضيه عنا، وسوف يكون بيانها من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

فضائل التوحيد الدنيوية

لتحقيق التوحيد فضائل عظيمة في الدنيا تظهر جلية في حياة من قام به على الوجه المطلوب منه شرعًا ومن تلك الفضائل:

١- حصول الأمن والهداية التامين لمن حقق التوحيد، يقول الله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾[1] فالظلم المذكور بهذه الآية هو الشرك كما بينه نبينا صلى الله عليه وسلم للصحابة، ففي الحديث الذي رواه البخاري عبد الله بن عمرو بن العاص

(١) سورة الأنعام: ٨٢

رضي الله عنهما قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ قلنا: يا رسول الله! أينا لم يظلم نفسه؟ قال: «**ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم: بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه** ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١]»[٢]، فالذي سلم من الشرك وحقق التوحيد يحصل له الأمن والهداية في الدنيا؛ من الأمن النفسي والاطمئنان والراحة[٣]، وتحصل له الهداية في السلوك فلا يعمل عملاً مخالفًا للحق، ويحصل له الأمن و الهداية في الآخرة فلا يعذب مطلقًا أو لا يعذب مؤبدًا[٤].

٢- أنَّ تحقيق التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج الكربات، ودفع العقوبات، فهذا نبي الله ذا النون عليه السلام لما التقمه الحوت نادى في الظلمات وتوسل إلى الله بالتوحيد يقول الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ

---

(١) سورة لقمان: ١٣

(٢) رواه البخاري برقم (٣٣٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ (١٤١/٤)، ومسلم برقم (١٢٤) كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه (١١٤/١) وهذا لفظ البخاري.

(٣) انظر: مقالات في العقيدة ص (١٣).

(٤) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ص (٧٨).

مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾(١) وهذا والله من عظيم تحقيق التوحيد والتعلق بالله، فالأنبياء والمرسلون هم من حققوا التوحيد الخالص والكامل لله رب العالمين(٢)، ولما توسل هذا النبي العظيم بالتوحيد فرج الله تعالى ما نزل به من البلاء.

٣- أنَّ تحقيق التوحيد يحرر العبد من رقّ المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، كما قال الصحابي الجليل ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم عندما سأله: ما جاء بكم؟ قال: «إنَّ الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»(٣)، وهذا هو العزّ الحقيقي والشرف العالي، ويكون مع ذلك التحرر من العبودية للمخلوق التأله والتعبد الكامل لله تعالى، لا يرجو سواه ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه ويعيش حياة مليئة بالسعادة والرفعة.

---

(١) سورة الأنبياء: ٨٧

(٢) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد ص (١٤).

(٣) انظر: تاريخ الأمم والملوك = تاريخ الطبري (٣/٥٢٠).

٤- أنَّ تحقيق التوحيد يخفف عن العبد المكاره ويهون عليه الآلام، فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان يكون تلقيه المكاره والآلام بقلب راضٍ وصدر منشرح ونفس مطمئنة، وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة[١]، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: كُنْتُ خَلفَ رَسُول اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَوْمًا فَقَال: «**يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلمُكَ كَلمَاتٍ، إحْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ إحْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلتَ فَاسْأَل اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ عَلى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لكَ، وَلو اجْتَمَعُوا عَلى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَليْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»[٢].

٥- أنَّ الله يدفع عن الموحدين أهل الإيمان الشرور المختلفة، ويمنُّ عليهم بالحياة الطيبة، والطمأنينة بذكره يقول الله تعالى ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا**

(١) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد ص (١٤).

(٢) رواه الترمذي في السنن برقم (٢٥١٦) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع (٤/٢٤٨) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة برقم (٢٣٨٢) (٥/٤٩٦).

كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1] فجعل الباري سبحانه الإيمان به –ورأس الإيمان التوحيد– والعمل الصالح شرطًا للحياة الطيبة الهنيئة في الدنيا والأجر الوافر في الآخرة[2].

٦- أنَّ من حقق التوحيد يسهل عليه فعل الخيرات وترك المنكرات، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي، لما يخشى من سخطه وعقابه يقول الله تعالى ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[3].

٧- أنَّ الله تكفّل لمن حقق التوحيد بالفتح والنصر في الدنيا والعزّ والشرف، وحصول الهداية والتيسير لليسرى، وإصلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال، يقول الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟

(١) سورة النحل: ٩٧

(٢) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد ص (١٤).

(٣) سورة المؤمنون: ٥٦ - ٦١

ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[١] فعلق الباري تبارك وتعالى حصول الاستخلاف والتمكين والأمن على عبادته وحده لا شريك له، أي بتحقيق التوحيد[٢].

٨- التوحيد سبب في استجلاب ولاية الله، وهو الركن الأول والأساس في الإيمان بالله، والذي لا يمكن الحصول على ولاية الله بدونه، وأن الشرك يؤدي إلى خذلان الله للإنسان، وتلاعب شياطين الإنس والجن به، وهلاكه وتخبطه في متاهات الضلال.

والمقصود بيان أثر ولاية الله في حماية المحقق للتوحيد في هذه الدنيا من الأفكار الضالة التي تستهدف زعزعة إيمانه وسلوكه[٣].

٩- ومن أهم فضائل التوحيد وثمراته الدنيوية والتي تحصل لمن يحقق التوحيد الألفة والوحدة على التوحيد بين أفراد المجتمع الموحد بدلاً من الفرقة،

---

(١) سورة النور: ٥٥

(٢) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد ص (١٤).

(٣) انظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة ص (٢٤٩).

وتكون الأمة بعين الله يكلؤها ويسددها ويهديها لأسباب عزتها، ويهيئ لها من كل ضيق مخرجاً، ويصبح لها وزن وثقل وقوة، لا يستهان بها بين الأمم ويمكّن الله لها في الأرض[1].

(١) انظر: المصدر السابق ص (٦٩٧).

المطلب الثاني

فضائل التوحيد الأخروية

وكما أنَّ لتحقيق التوحيد فضائل في الدنيا فكذلك لتحقيقه فضائل في الآخرة هي أعظم نفعًا وأحسن عاقبة للموحد ومنها الآتي:

١- دخول الجنان والخلود بها والنجاة من النيران -أعاذنا الله منها-، يقول الله في محكم التنزيل﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾** ﴾[1]، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدا عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»[2]، ويقول النبي ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله صادقًا من**

(١) سورة البقرة: ٦٢

(٢) رواه البخاري برقم (٣٤٣٥) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ (٤/١٦٥)، ومسلم برقم (٢٨) كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة (١/٥٧).

قلبه حرمه الله على النار»[1]، والمعنى هنا أنَّ من نطق بها عالماً بمعناها عاملاً بمقتضاها دخل الجنة، ولا يظن ظان أن مجرد القول بلا إله إلا الله يكفي ويدخله الجنة، بل لا بد من تحقيق شروط هذه الكلمة كما نصَّ على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره من العلماء[2].

٢- أنَّ تحقيق التوحيد هو السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، وأن محققه أسعد الناس بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال قلت : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة فقال: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه نفسه»**[3].

---

(١) رواه أحمد في المسند برقم (١٦٤٨٤) في حديث طويل بمعناه، وصحح إسناده الشيخ الألباني في تعليقه على تحقيق كلمة الإخلاص لابن رجب ص (٤٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام بن تيمية (٣٢/١)، شروط لا إله إلا الله لعواد المعتق ص (٣) وما بعدها.

(٣) رواه البخاري برقم (٩٩) كتاب العلم، باب الحرص على الحديث (٣١/١).

٣- أن حسنة تحقيق التوحيد لا تقاومها سيئة في الآخرة، فإذا جاء العبد محققا للتوحيد في الآخرة فإنَّ مصيره إلى الجنة بإذن الله تعالى، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(١)، فكل سيئة دون الشرك هي تحت مشيئة الله ولا يخلد صاحبها في النار حتى وإن عذب بالقدر الذي يكفر عنه به سيئاته وهذا من عظيم فضل تحقيق التوحيد.

وبالجملة فإن فضائل تحقيق التوحيد عظيمة وكثيرة، فتحقيقه أساس كل خير في الدنيا والآخرة، والبعد عنه وعن تحقيقه أساس كل شر في دنيا المرء وآخرته، وقد اقتصرت على ذكر أهمها، ونسأل الله أن يعيننا على تحقيق هذا الأصل العظيم.

(١) سورة النساء : ٤٨

المبحث الثاني

وسائل تحقيق التوحيد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: شروط تحقيق التوحيد ودرجات التحقيق

المطلب الثاني: أهم وسائل تحقيق التوحيد

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: «تحقيق إخلاص الدين كله بحيث لا يكون العبد ملتفتًا إلى غير الله ولا ناظرا إلى ما سواه، لا حبًا له ولا خوفًا منه ولا رجاء له، بل يكون القلب فارغاً من المخلوقات خاليًا منها لا ينظر إليها إلاَّ بنور الله، فبالحق يسمع وبالحق يُبصر، وبالحق يبطش، وبالحق يمشى، فيحب منها ما يحبه الله، ويبغض منها ما يبغضه الله، ويوالى منها ما والاه الله، ويعادي منها ما عاداه الله، ويخاف الله فيها ولا يخافها في الله، ويرجو الله فيها ولا يرجوها في الله، فهذا هو القلب السليم الحنيف الموحد المسلم، المؤمن العارف المحقق الموحد بمعرفة الأنبياء والمرسلين وبحقيقتهم وتوحيدهم»[1].

المطلب الأول

شروط تحقيق التوحيد ودرجات التحقيق

تحقيق التوحيد: هو معرفته، والاطلاع على حقيقته، والقيام بها علمًا وعملاً، وحقيقة ذلك هو انجذاب الروح إلى الله محبة وخوفًا، وإنابة وتوكلاً، ودعاء وإخلاصًا وإجلالاً وهيبة، وتعظيمًا وعبادة. وبالجملة فلا يكون في

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٢٢٢-٢٢٣).

قلب المرء شيء لغير الله، ولا إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لما أمر الله؟ وذلك هو حقيقة لا إله إلا الله، فإنَّ الإله هو المألوه المعبود[1].

وتحقيق التوحيد يرجع إلى ثلاثة أشياء:

الأول: ترك الشرك بأنواعه: الأكبر، والأصغر، والخفي.

والثاني: ترك البدع بأنواعها.

والثالث: ترك المعاصي بأنواعها.

وتحقيق التوحيد يكون على هذا على درجتين: درجة واجبة، ودرجة مستحبة.

فالدرجة الواجبة: أن يترك ما يجب تركه من الثلاث التي ذكرت، يترك الشرك خفيه وجليه، صغيره وكبيره، ويترك البدع، ويترك المعاصي.

والدرجة المستحبة: من تحقيق التوحيد وهي التي يتفاضل فيها الناس من المحققين للتوحيد أعظم تفاضل، ألا وهي: أن يكون القلب متوجها إلى الله بكليته، ليس فيه التفات إلى غير الله، نطقه لله، وفعله وعمله لله، بل

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ص (٧٤).

وحركة قلبه لله -جل جلاله-، في مجال أعمال القلوب، وأعمال اللسان، وأعمال الجوارح(١).

ومع ذلك فإنَّ «تحقيق التوحيد عزيز في الأمة لا يوجد إلا في أهل الإيمان الخلّص، الذين أخلصهم الله واصطفاهم من خلقه كما قال تعالى في يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾(٢) بفتح اللام، وفي قراءة ﴿المخلِصين﴾ بكسرها، وهم في صدر هذه الأمة كثيرون وفي آخرها هم الغرباء، وقد قلوا، وهم الأعظمون قدرا عند الله»(٣).

لذا فإنَّ على المؤمن أن يتنبه إلى شروط تحقيق التوحيد والضوابط التي من خلالها يصل العبد إلى تحقيق التوحيد كما حققه السلف الصالح رضوان الله عليهم.

---

(١) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص (٣٣).

(٢) سورة يوسف: ٢٤.

(٣) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص (٥٧).

المطلب الثاني

أهم وسائل تحقيق التوحيد

لتحقيق التوحيد وسائل يفعلها العبد تكون معينة له على الوصول إلى تحقيقه، ومنها:

أولاً: معرفة العبد لله رب العالمين مالك الملك كله بأسمائه وصفاته، بحيث لا يكون العبد ملتفتا إلى غير الله ولا ناظرا إلى ما سواه، لا حبا له ولا خوفا منه ولا رجاء له بل يكون القلب فارغاً من المخلوقات خاليًا منها لا ينظر إليها إلاَّ بنور الله فبالحق يسمع وبالحق يُبصر، وبالحق يبطش، وبالحق يمشى، فيحب منها ما يحبه الله ويبغض منها ما يبغضه الله، ويوالى منها ما والاه الله، ويعادي منها ما عاداه الله، ويخاف الله فيها ولا يخافها في الله، ويرجو الله فيها ولا يرجوها في الله ويكون ذاكراً لله عارفاً به، وهو مع ذلك عالم بما بينه لخلقه وانفراده عنهم وتوحده دونهم، ويكون محبًا لله معظمًا له عابداً له راجياً له خائفاً منه مستعيناً به متوكلاً عليه، ممتنعاً عن عبادة غيره، فهذا هو القلب السليم الحنيف الموحد المسلم، المؤمن العارف المحقق الموحد بمعرفة الأنبياء والمرسلين وبحقيقتهم وتوحيدهم[1].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٢٢٢-٢٢٣).

ثانيًا: العلم[1] بحقيقة هذا التوحيد وشروطه ولوازمه فلا يمكن تحقيق شيءٍ قبل أن تعلم ماهيته وتعرف أصله، يقول الله تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾[2].

فلا يصل العبد إلى تحقيق التوحيد على الوجه الصحيح إلا بمعرفة عظيم قدر البارئ سبحانه، فالعلم أهم وسيلة لتحقيق هذا الأصل العظيم، ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف.

ثالثاً: الاعتقاد والعمل والانقياد لله رب العالمين وهي لازم لما قبلها فإذا عرفت الله حق المعرفة وعلمت أصل هذا التوحيد وشرطه ولوازمه قامت عليك الحجة بذلك ولم يبقَ عليك إلا أن تعتقد بالأمور القلبية، وأن تعمل بالأعمال العملية[3]، ومعرفة هذا من أعظم أسباب تحقيق التوحيد إذ لا يتصور تحقيقه دون الانقياد والعمل.

(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد ج/١ ص٩١ (بتصرف)
(٢) سورة محمد: ١٩
(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٩١).

رابعًا: البراءة من الشرك وأهله فلا يتخذ العبد وليا من دون الله ولا يوالي عدو من أعداء الله[1]، كما قال الله تعالى ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[2]، والبراءة من الشرك ركن هام في تحقيق التوحيد فهو قسيم كلمة الشهادة المكونة من النفي والإثبات وهو بعد إثبات العبادة لله أهم وسيلة لتحقيق التوحيد، فلا توحيد لمن لم يتبرأ من الشرك وأهله.

خامسًا: ومن أعظم وسائل تحقيق التوحيد التقيد بأحكام الله ورسوله، فلا حلال إلا ما أحله الله، ولا حرام إلا ما حرمه الله، إما في كتابة أو على لسان رسوله ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ

(١) انظر: هذه النقطة والتي بعدها في.... فاكهة القلوب والأفواه في تحقيق شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ص (٤٢).

(٢) سورة المجادلة: ٢٢

﴿أَلِيمٌ﴾(١)، وأن يعمل على وفق ما شرع سبحانه، وأن يتابع سنة المصطفى ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾(٢)

(١) سورة الشورى: ٢١

(٢) سورة الكهف: ١١٠

المبحث الثالث

عوائق التوحيد

تنقسم العوائق التي تحول بين العبد وبين تحقيق التوحيد إلى قسمين: قسم يحول بين العبد وبين توحيده لله رب العالمين، وقسم يحول بين العبد وبين كمال توحيده لله رب العالمين.

أما القسم الأول: وهو الذي يحول بين العبد وبين توحيد الله رب العالمين ويكون بذلك خارجًا من ملة المسلمين وتوجب عليه الدخول في النار والخلود بها فهو عدة أنواع ذكرها أئمة هذا الدين وهي الكفر والشرك الأكبر بأنواعه وهي:

كفر التكذيب: وهو اعتقاد كذب الرسل أو تكذيب ما جاءوا به، أو اعتقاد أن أحدًا يسعه الخروج عن شريعتهم، وهذا النوع من الكفر قليل في الكفار، فإنَّ الله لما أرسل الرسل أعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم

ما أقام به الحجة وأزال به المعذرة[1] يقول الله تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[2].

كفر الإباء والكبر: ككفر إبليس فإنَّه لم يجحد أمر الله وإنما امتنع من امتثاله كبراً وإباءً، ومثله من يعترف بصحة الإسلام وأنه النجاة ولكنه يؤثر عليه غيره في المذهب أو الطريقة، والآيات الواردة في امتناع إبليس من السجود لآدم واضحة وهو بالحقيقة ككفر أبي طالب فإنَّه صدقه ولم يشك في صدقه ولكن أخذته الحمية وتعظيم آبائه[3].

كفر الشك: فلا يصدق بالدين ولا يكذبه بل يشك في أمره يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾[4].

(١) انظر: إكرام الموحدين بتحقيق وصية رب العالمين ص (٦٢٤).
(٢) سورة النمل: ١٤
(٣) انظر: إكرام الموحدين بتحقيق وصية رب العالمين ص (٦٢٤).
(٤) سورة إبراهيم: ٩

كفـر الإعـراض: وهـو أن يعـرض بـسمعه وقلبـه عـن الرسـول ﷺ، لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه. ولا يُصغي إلى ما جاء به ألبتة(١).

كفر النفاق الاعتقادي: هو إضمار الكفر في القلب، وإظهار الإسلام على الجوارح يقـول الله تعـالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾(٢).

كفر الجحود: وهو أن يجحد ما أنزله الله ، أو إرسال الرسول ، أو أن يجحد فرضا من فروض الإسلام(٣).

الـشرك الأكبـر: وهـو صـرف بعـض العبـادة لغير الله ، كمـن يـستغيث بـالأموات ، أو الغـائبين أو الجـن أو الأصـنام أو النجـوم واتخـاذ الـشفعاء والوسطاء بين العبد وربه ونحو ذلك أو يذبح لهم أو ينذر لهم(٤) يقول الله تعـالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾(٥).

---

(١) انظر: إكرام الموحدين بتحقيق وصية رب العالمين ص (٦٢٥).

(٢) سورة البقرة: ١٣

(٣) انظر: إكرام الموحدين بتحقيق وصية رب العالمين ص (٦٢٥).

(٤) انظر: إكرام الموحدين بتحقيق وصية رب العالمين ص (٦٢٥).

(٥) سورة فاطر: ١٤

وأما القسم الثاني: وهو الذي يحول بين العبد وبين كمال توحيده لله رب العالمين وهو ما أطلق عيه العلماء مسمى الكفر الأصغر أو الشرك الأصغر وضابطهما هو: ما ورد في النصوص أنَّه كفر لكن لا يخرج من الملة أي كفر دون كفر كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**». قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: «**الرياء**»[1]، وكقوله صلى الله عليه وسلم: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[2]، وهذا القسم يقدح في كمال التوحيد وقد يعرِّض صاحبه للنار لكن لا يخلد فيها، ويخاف على صاحبه من الانتقال للكفر أو الشرك الأكبر لكون المعاصي والآثام تدعوا بعضها بعضا.

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز–قدس الله روحه ورفع الله درجاته– في الكفر والشرك الأصغر: «فهو وجود القوادح دون الكفر، لكنها تضعف الإيمان وتنقصه، وتجعل صاحبها معرضاً للنار وغضب الله، لكن لا يكون

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند برقم (٢٣٦٣٠) (٣٩/٣٩)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (٤٣٠١) (٤/٢٥٣)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٥٥٥) (١/٣٢٣).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٨) كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط وهو لا يشعر (١/١٩)، ومسلم برقم (٦٤) كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (١/٨١).

صاحبها كافراً. وأمثلة ذلك كثيرة منها: الزنا إذا آمن أنه حرام ولم يستحله، بل يزني ويعلم أنه عاص، هذا لا يكون كافراً وإنما يكون عاصياً، لكن إيمانه ناقص، وهذه المعصية قدحت في عقيدته لكن دون الكفر، فلو اعتقد أنَّ الزنا حلال صار بذلك كافراً، وكذلك الغيبة والنميمة وعقوق الوالدين وأكل الربا وأشباه ذلك، كل هذه من القوادح في العقيدة المضعفة للدين والإيمان. وهكذا البدع، وهي أشد من المعاصي، فالبدع في الدين تضعف الإيمان، ولا تكون ردة ما لم يوجد فيها شرك. ومن أمثلة ذلك: بدعة البناء على القبور، كأن يبني على القبر مسجداً أو قبة، فهذه بدعة تقدح في الدين وتضعف الإيمان، لكن إذا بناها وهو لا يعتقد جواز الكفر بالله، ولم يقترن بذلك دعاء الميتين والاستغاثة بهم والنذر لهم، بل ظن أنه بفعله هذا يحترمهم ويقدرهم، فهذا العمل حينئذ ليس كفراً، بل بدعة قادحة في الدين تضعف الإيمان وتنقصه، ووسيلة إلى الشرك. وهكذا سائر البدع كلها من القوادح في العقيدة، لكنها دون الكفر، إن لم يصاحبها كفر. فهذه البدع مثل بدعة الموالد، والبناء على القبور، واتخاذ المساجد عليها، ومثل صلاة الرغائب هذه كلها بدع، والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج التي يحددونها بسبع وعشرين من رجب، هذه بدعة ليس لها أصل، وبعض الناس يحتفل بليلة النصف من شعبان ويعمل فيها أعمالاً يتقرب بها، وربما أحيا ليلها أو صام نهارها يزعم

أن هذا قربة، فهذا لا أصل له، والأحاديث فيه غير صحيحة، بل هو من البدع»[1].

فهذه جملة القوادح في توحيد المرء، سواء كانت قوادح تخرج صاحبها من الملة أو قوادح تنقص تحقيقه للتوحيد وتنتقل به إلى بقاء أصل الدين لا كماله الواجب والمستحب، والواجب على المسلم أن يحرص على الحفاظ على دينه وتوحيده لربه فإنَّ فيه الفلاح والسعادة والرفعة في الدنيا والنجاة والخلود في الآخرة.

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٨/٢٦).

الخاتمة

فبعد أن عرفنا فضل التوحيد وحقيقته وما وعد الله بها عباده المؤمنين إن هم حققوا التوحيد من دخول الجنة في الآخرة وغفران الذنوب وحرمتهم على النار –أعاذنا الله منها– وأن من دخلها منهم إنما يعذب بقدر ذنبه ولا يخلد فيها وعرفنا وسائل تحقيقه وعرفنا عوائقه علمنا أن حال المسلمين اليوم وما بهم من الهزيمة أمام الأعداء والهزيمة النفسية كله بسبب التقصير والخلل في تحقيق هذا التوحيد وكلنا شاهد على ذلك فدائما ما نسمع من يدعو إلى القومية والرجوع إليها وكثيرا ما سمعنا من يدعو إلى الديمقراطية وكثيرا ما رأينا شعارات العلمانية الخبيثة والشيوعية المتهالكة، لكن هل سنسمع من يدعو هذه الأمة العظيمة إلى الرجوع إلى التوحيد والتعلق برب الأرض والسموات؟

وفي ختام هذا البحث سنذكر **أهم النتائج وهي**:

الأولى: كثرة فضائل التوحيد الدنيوية والأخروية وعدم حصرها وهذا يدل على أهمية التوحيد.

الثانية: أنَّ أهم فضيلة من فضائل التوحيد رضى رب الأرباب عن الموحد في الدنيا والآخرة.

الثالثة: أنه لا يكفي قول كلمة التوحيد دون اعتقادها والعمل بها.

الرابعة: أن تحقيق التوحيد يرجع إلى ثلاثة أمور وهي ترك الشرك بأنواعه والبدع والمعاصي.

الخامسة: قلة الأشخاص المحققين للتوحيد في العصر الحاضر حتى صاروا غرباء في أوساط الناس كما وصفهم النبي ﷺ.

السادسة: أنَّ عوائق تحقيق التوحيد منها ما يعود على أصله فيبطله كالشرك الأكبر والكفر بأنواعه، ومنها ما يرجع إلى كماله فيؤثر فيه ولا يخرج صاحبه من الملة.

السابعة: أنه يجب علينا الحذر مما يعوق من كمال التوحيد سواء في الألفاظ أو الأعمال.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يبعث لأهل الإسلام والمسلمين من يردهم إلى توحيده وتحقيقه

انه سميع قريب مجيب

فهرس المراجع والمصادر

-القرآن الكريم

١. **أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة،** المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٢. **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد،** المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٣. **إكرام الموحدين بتحقيق وصية رب العالمين:** عبد الله بن صالح العبيلان. دار بن تيمية. الشارقة. الطبعة الأولى.

٤. **تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري،** المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٣٨٧ هـ.

٥. **التمهيد لشرح كتاب التوحيد**، المؤلف: دروس ألقاها صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم طُبعت، الناشر: دار التوحيد، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٦. **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد**، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٧. **الجامع الكبير – سنن الترمذي**، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

٨. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٩. **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

١٠. **شروط لا إله إلا الله**، المؤلف: د عواد بن عبد الله المعتق، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة والعشرون – العددان (١٠١، ١٠٢) – ١٤١٤/١٤١٥هـ.

١١. **فاكهة القلوب والأفواه في تحقيق شهادة أن لا اله إلا الله وأنَّ محمد رسول الله**، عبد الله بن سليمان الغفيلي. دار البخاري. المدينة المنورة. الطبعة الأولى

١٢. **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

١٣. **الفقه الأكبر** (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس)، المؤلف: ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى:

١٥٠هـ)،الناشر: مكتبة الفرقان – الإمارات العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

١٤. **القول السديد في مقاصد التوحيد**: عبد الرحمن بن سعدي: مركز بن صالح الثقافي. عنيزة.

١٥. **القول المفيد على كتاب التوحيد**: محمد بن صالح العثيمين. دار بن الجوزي . الرياض. الطبعة الثالثة.

١٦. **كلمة الإخلاص وتحقيق معناها**، المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، الطبعة: الرابعة، خرج أحاديثها: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني.

١٧. **مجموع الفتاوى**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٨. **مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله**، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

١٩. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.
٢٠. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢١. **المعجم الكبير**، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.
٢٢. **مقالات في العقيدة**: محمد أبو زيد المكي. الطبعة الأولى.